

أضواء البيان

@ 182 . قوله تعالى : { وَإِذْ آتَيْنَاهُمْنَا الْإِنْسَانَ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ
بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا } . بين جل وعلا في هذه الآية
الكريمة : أنه إذا أنعم على الإنسان بالصحة والعافية والرزق أعرض عن ذكر الله وطاعته ،
ونأى بجانبه : أي تباعد عن طاعة ربه . فلم يمثل أمره ، ولم يجتنب نهيه . .
وقال الزمخشري : أعرض عن ذكر الله كأنه مستغن عنه ، مستبد بنفسه . { وَنَأَىٰ
بِجَانِبِهِ } تأكيد للإعراض . لأن الإعراض عن الشيء أن يوليهِ عرض وجهه . والنأي بالجانب
: أن يلوي عنه عطفه ، ويوليهِ طهره ، وأراد الاستكبار ، لأن ذلك من عادة المستكبرين .
واليؤوس : شديد اليأس ، أي القنوط من رحمة الله . .

وقد أوضح جل وعلا هذا المعنى في مواضع كثيرة من كتابه ، كقوله (في سورة هود) {
وَلَئِنَّ أَذْقُنَا الْإِنْسَانَ مِرَّةً رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ
كَفُورٌ وَلَئِنَّ أَذْقُنَاهُ نَعْمَةً بَعْدَ ضَرِّ آءٍ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ } ، وقوله في (
آخر فصلت) : { لَا يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ
فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ وَلَئِنَّ أَذْقُنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ ضَرِّ آءٍ
مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَآذَا لِي وَمَا أَطُنُّ الشَّعَاعَةَ قَائِمَةٌ وَلَئِنَّ
رَبِّي جَعَلْتُ إِلَيَّ رَبًّا إِنِّي لَمِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ } ، وقوله في (سورة النازعات) {
كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَئِنَّهُمْ كَافِرُونَ فَكَفَرُوا وَنَأَىٰ
بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُودُوعًا وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ
دَعَوْا رَبَّهُمْ مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذْ آذَقَهُمْ مِّنْهُ رَحْمَةً
إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ } ، وقوله فيها أيضاً : { وَإِذْ
آذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا
كَدَّوْا أَيْدِيَهُمْ إِذَا هُمْ يَفْقَهُونَ } ، وقوله (في سورة يونس) : { وَإِذَا
مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا
كَشَفْنَا عَنْهُ غُصْرَهُ وَجَدَ رَبَّهُ عَلَىٰ هَامٍ يَدْعُوْنَا إِلَىٰ ضُرِّهِ مَسَّهِ } ، وقوله
(في سورة الزمر) : { وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ
ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ }

وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّیُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ { ، وقوله فيها أيضاً : {
فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا زِلَازًا ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْ دُونِهَا
قَالَ إِنَّمَا أَتُونَنِي بِعِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَآكِنِّ أَنَا كَثْرَتُهُمْ لَا
يَعْلَمُونَ } . إلى غير ذلك من الآيات . .

وقد استثنى [] من هذه الصفات عباده المؤمنين في قوله (في سورة هود) : { إِلَّا الَّذِينَ
الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ
وَأَجْرٌ كَبِيرٌ } كما تقدم